سلسلة

قصص في الآداب

١٤

آداب الكلام

شعبان مصطفى قزامل



بسم الله الرحمن الرحيم

قصص آداب الإسلام

١٤

قصص آداب الكلام

إعداد

شعبان مصطفى قزامل

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٥٨

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+
algwthani@scs-net.org



العَفْوَ يا أميرَ الْمُؤْمِنِينَ

جاءَ رَجلٌ إلَى أميرِ المُؤمنينَ عُمَرَ بنِ عبدِ العَزيزِ رضي الله عنه فذَكَرَ عِندَهُ رَجُلاً آخرَ بِشَيءٍ فِيهِ إساءةٌ، فقالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه : إنْ شِئْتَ نَظَرنَا فِي أمرِكَ، فإنْ كُنتَ كاذِباً فأنْتَ مِنْ أهلِ هذِهِ الآيَةِ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وإنْ كنتَ صادِقاً فأنْتَ مِنْ أهلِ هـذه الآيـةِ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١].

وإنْ شِئتَ عفَوْنا عنْكَ.

فقالَ الرَّجلُ: العَفْوَ يا أميرَ الْمُؤمِنينَ، لا أعودُ إلَيهِ أبَداً.

فعَفَا عنْهُ أميرُ المُؤمنينَ، وأعطَاهُ دَرْساً بَلِيغاً، وأراهُ مَوْقِفاً نَبيلاً، يَدُلُّ علَى أخلاقِهِ العَظيمةِ، والَّتِي هِيَ أخلاقُ المُسلِمِ الحَقِّ.

مِنْ آدابِ الكلامِ: اجتِنابُ قَوْلِ الزُّورِ؛ قالَ ﷺ : «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعمَلَ بِهِ فليسَ للهِ حاجةٌ أنْ يَترُكَ طَعامَهُ وشَرَابَهُ» [البخاري].

الابتِسامةُ

كانَ الصَّحَابِيُّ الجَليلُ أبو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه إذَا تَحـدَّث إلَى أحَدٍ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِـهِ، وباسَـطَهُ فـي الكَـلامِ، فقالَـتْ لَـهُ أمُّ الدَّرْداءِ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ : لا يَقُـولُ النَّـاسُ إنَّـكَ أحمَـقٌ (أي: بَسبَبِ تَبَسُّمِكَ فِي كلامِكَ). فقالَ لَهَا أبو الدَّرْدَاءِ: ما رَأيـتُ ـ أو ما سَمِعتُ ـ رسولَ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ حديثاً إلاَّ تَبَسَّمَ. [أحمد].

وهكذَا كانَ أبُو الدَّرْداءِ رضي الله عنه يتَبسّمُ فِي حَدِيثِهِ اتِّباعاً لِرَسولِ اللهِ ﷺ، واقتداءً بِسُلوكِيَّاته الطَّيِّبة، فالابتِسـامةُ فـي وَجـهِ الآخَرينَ صَدَقةٌ، فالمُسلِمُ لا يُكَلِّمُ أحَداً وهُوَ مُتَجَهِّمُ الوَجْهِ، بَلْ يَتحدَّثُ إلَى النَّاسِ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ تَعلُـوه الابتِسـامةُ ويكسُـوهُ البِشْـرُ والتَّفاؤلُ، فالابتِسـامةُ أثنـاءَ الحَـديثِ تَفـتَحُ المَجـالَ لاتِّصَـالِهِ، وتَقضِي علَى ما يَشُوبُ عَلاقةَ النَّاسِ مِنْ غَضَبٍ وتَكبُّرٍ.

مِنْ أدَبِ الكلامِ: مُبَاسَطَةُ المُتحدِّثِ جُلسَاءَهُ أثناءَ الحَديثِ، والإصْـغَاءُ إلَى المُتكلِّمِ لِيَعِيَ السَّامعُ ويَستَوعِبَ ما يُقَالُ لَهُ.



حَديثُ النَّجْوَى

كانَ عبدُ اللهِ بنُ دِينارٍ رضي الله عنه فِي السُّوقِ، وكانَ معَهُ ابنُ عُمَرَ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ ، فجاءَ رَجلٌ يُرِيدُ أنْ يُناجِيَ ابنَ عُمَرَ ويتَحدَّثَ معَهُ سِراًّ. ولَمْ يكُنْ معَ ابنِ عُمَرَ أحَدٌ غيرَ عبدِ اللهِ، فدَعَا ابنُ عُمَرَ رَجُلاً آخرَ فأصبحُوا أربَعةً، ثُمَّ قالَ ابنُ عُمَرَ لعبدِ اللهِ ولِلرَّجُلِ الثَّالثِ الَّذي دَعاهُ: استَأْخرَا شيئاً، فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «لا يَتَنَاجَى اثنانِ دُونَ واحدٍ» [مالك].

هذهِ هِيَ حياةُ مُجتَمعِ المُسلمينَ، فالمُسلِمُ حَريصٌ علَى مشاعرِ أخيهِ المُسلمِ، فلاَ يَجرَحُ أحاسيسَهُ، بَلْ يَحفَظُ لهُ مكانَتَهُ وكرَامتَهُ، فإذَا كانَ الأَصحابُ ثلاثةً وتكلَّمَ اثنانِ منْهُمْ سِرًّا؛ بَعيداً عَنِ الثَّالثِ، فإنَّ الثَّالثَ قدْ يَظُنُّ أنَّهُمَا يَتكلَّمانِ فِي حَقِّهِ، فجاءَ الإسلامُ لِيَقْطَعَ الشَّكَّ باليَقينِ، ويُعَلِّمَ المُسلِمينَ دَرْساً عظيماً فِي السُّلوكِ الاجتِماعِيِّ القَويمِ.

مِنْ أدَبِ الحَديثِ: ألاَّ يَتَناجَى اثنانِ دُونَ الثَّالثِ؛ يَقولُ النَّبيُّ ﷺ : «إذَا كُنْتُمْ ثلاثةً فلاَ يَتَناجَى اثنانِ دُونَ الآخَرِ» [متفقٌ علَيهِ].

الغُلامُ الفَصِيحُ

يُحكَى أنَّهُ عندمَا تولَّى عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضـي الله عنـه الخِلافةَ، قَدمَتْ عليه وُفودُ أهلِ كُلِّ بَلَدٍ، فتَقدَّمَ وَفدُ أهلِ الحِجَازِ، فتَهيَّأَ مِنهم غُلامٌ لِلكلامِ. فقالَ عُمَرُ: يا غُلامُ! لِيتكلَّمْ مَنْ هُوَ أسَنُّ مِنْكَ (أكبرُ مِنْكَ فِي العُمُرِ). فقالَ الغُلامُ: يـا أميرَ المُؤمنينَ! إنَّمَا المَرْءُ بأصْغَرَيْهِ؛ قَلبِه ولِسَانِه، فَإذَا مَنَحَ اللهُ العَبدَ لِساناً لافِظاً وقَلباً حافِظاً، فقد استَحقَّ الكلامَ، ولَـوْ أنَّ الأمُـورَ بالسِّنِّ لكَانَ ها هُنا مَنْ هُوَ أحَقُّ مِنكَ بِمَجْلِسِكَ هذَا.

فقالَ عُمَرُ رضي الله عنه: صدَقْتَ، رحِمَكَ اللهُ، تكَلَّمْ، فقالَ الغُلامُ: يـا أميرَ المُؤمِنينَ! نحـنُ وَفْـدُ التَّهنئَـةِ، لا وَفْـدُ المَرْزِئَةِ، ولَمْ يَقْدُمْ أحَدٌ منَّا إليكَ رَغبةً ولاَ رَهْبةً؛ لأنَّنَا قَدْ أمِنَّا فِي أيَّامِكَ مَا خِفْنَا، وأدْرَكْنَا ما طَلَبْنَا. فأُعجِبَ عُمَرُ بِكَلامِهِ، وسَألَ عَنْ عُمُرِهِ، فقيلَ لَهُ: عَشْرُ سِنينَ.

فقالَ: ارفَعُوا الغُلامَ فوقَ مَرْتَبَتِه. [ابن عبد ربه].

وهكذَا يَرفَعُ الإنسانُ مَرْتَبَتَهُ ومَقَامَهُ بِحُسْنِ حَديثِه.

مِنْ أدَبِ الكلامِ: اختِيارُ الألفاظِ والتَّحَدُّثُ بأُسلوبٍ حسَنٍ جميلٍ؛ فإنَّ لِذلكَ تأثيراً كَبيراً علَى نُفوسِ السَّامِعينَ.

الكَلِمةُ الخَطِيرَةُ

ذاتَ يَومٍ، قالتِ السَّيِّدةُ عائشةُ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ للرَّسولِ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وكذَا ـ وكانتْ تَعني: أنَّ صَفِيَّةَ وهِيَ إحدَى زَوْجاتِ النَّبيِّ ﷺ قَصيرةٌ ـ، فغَضِبَ النَّبيُّ ﷺ غَضَباً شَديداً، وقالَ لِعائِشةَ: «لقَدْ قُلْتِ كلِمةً لَو مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحرِ لَمزَجَتْهُ» [أبو داود].

فعَرَفَتِ السَّيِّدةُ عائشةُ أنَّها قالَتْ كَلِمةً خَطيرةً فِي حَقِّ إحدَى زَوجاتِ النَّبيِّ ﷺ، هذه الكَلِمةُ لَوِ اختَلَطَتْ بماءِ البَحرِ لَعكَّرَتْهُ وغيَّرَتْ لَونَهُ؛ لأنَّهَا تُقَلِّلُ مِنْ شأنِ الآخَرِينَ.

ولقَدْ أعْلَمَ النَّبيُّ ﷺ السَّيِّدةَ عائشةَ ـ رضيَ اللهُ عنهَا ـ خُطُورَةَ الكَلمةِ؛ فالكَلمةُ الواحِدةُ قَدْ تَتسبَّبُ فِي أحداثٍ عظيمةٍ، وكَمْ مِنْ حُرُوبٍ قامَتْ مِنْ أجْلِ كلمةٍ، وكَمْ مِنْ حضَاراتٍ ازدَهَرَتْ وسَادَ فيها السَّلامُ مِنْ أجلِ كَلمةٍ.

المُسلِمُ يَتكلَّمُ بِخَيرٍ أو يَصمتُ؛ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيراً أو لِيَصْمُتْ» [البخاري].

قِلَّةُ الكَلامِ

كانَ أَحَدُ العُلَماءِ قليلَ الأكْلِ، خَشِنَ اللِّباسِ والثِّيابِ، زَاهِداً فِي حَياتِهِ، لا يَهُمُّهُ سِوَى العِلْمِ والبَحْثِ عَنْ سَعادَةِ النَّاسِ وأَمْنِهِمْ، فكتَبَ إليهِ رَجلٌ: أنتَ تَقولُ: إنَّ الرَّحمةَ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ واجِبَةٌ، وأنتَ ذُو رُوحٍ؛ [أَفَلاَ] تَرحَمُهَا بتَرْكِ قِلَّةِ الأَكلِ وخَشِنِ اللِّباسِ؟.

فأجابَهُ العالِمُ بِقَولِهِ: عاتَبْتَنِي علَى لَبْسِ الخَشِنِ، وعاتَبْتَنِي علَى قِلَّةِ الأَكلِ، وإنَّما أريدُ أنْ آكُلَ لأَعيشَ، ولَستُ أعيشُ لآكُلَ.

فكتَبَ إليهِ الرَّجلُ: قَدْ عرَفْتُ السَّببَ فِي قِلَّةِ الأَكلِ.. فما السَّببُ فِي قِلَّةِ الكَلامِ؟ وإذَا كُنتَ تَبخَلُ علَى نفسِكَ بالمَأكَلِ.. فلِمَ تبخلُ علَى النَّاسِ بالكَلامِ؟

فكتَبَ العالمُ إليهِ يَقولُ: قَدْ خَلَقَ اللهُ ـ سبحانَهُ وتعَالَى ـ لكَ أذُنَينِ ولِساناً؛ لِتَسمَعَ ضِعفَ ما تَقولُ، لا لِتقُولَ أكثَرَ مِمَّا تَسمَعُ، والسَّلامُ.

مِنْ آدابِ الكَلامِ: ألاَّ تَتكلَّمَ فِيما لا يَعْنِيْكَ؛ قالَ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لاَ يَعْنيهِ» [الترمذِي].

أَمْسِكْ لِسَانَكَ

أمسَكَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُمَا ـ لِسانَه يوماً، وقالَ لَهُ: وَيْحَكَ.. قُلْ خَيراً تغْنَمْ، واسْكُتْ عنْ شرٍّ تَسْلَمْ.

فرآهُ رَجلٌ، فقالَ لَهُ: يابْنُ عبَّاسٍ! مالِي أرَاكَ آخِذاً بثَمرةِ (طَرَفِ) لِسانِكَ وتَقولُ كذَا؟

فقالَ ابنُ عبَّاسٍ: إنَّهُ بلَغَنِي «أنَّ العَبدَ يَومَ القِيامةِ ليسَ هوَ علَى شَيءٍ أحْنَقَ (أشَدَّ غَيْظاً) مِنْهُ علَى لِسَانِه» [أبو نعيم].

وذَلِكَ لأنَّ اللِّسانَ قَدْ يَفتَحُ علَى صاحِبِهِ أبوابَ الشَّرِّ، وقَدْ يَفتَحُ أمَامَهُ أبوابَ الخَيرِ، وعلَى الإنسانِ أنْ يُحْسِنَ استِخدامَ لِسانِهِ؛ فيَستَخدِمَهُ فِي اكتِسابِ صَدَاقةِ النَّاسِ وكَسْبِ مَحَبَّتِهِمْ، وفِي غَرْسِ بُذورِ الإخاءِ والسَّلامِ؛ رَغبةً فِي ثَوابِ الآخرةِ، وطَمَعاً فيما عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ مِنَ الجَزاءِ الحسَنِ.

مِنْ أدَبِ الكلامِ: أنْ يُحاسِبَ المُسلِمُ نفسَهُ علَى كُلِّ لَفظٍ يَخرُجُ مِنْ فَمِهِ حتَّى لا يَكُونَ لِسانُهُ سَبباً فِي دُخُولِ النَّارِ.

حَصَائِدُ اللّسَانِ

كانَ النَّبيُّ ﷺ في سَفَرٍ معَ أصحَابِه، فقالَ لَهُ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: يا رَسولَ الله أخبِرْني بِعمَلٍ يُدخِلُني الجَنَّةَ ويُباعِدُني عنِ النَّارِ؟ فأخبَرَهُ النَّبيُّ ﷺ بأبوابِ الخَيرِ ودلَّهُ علَيهَا، فقالَ لَهُ ﷺ: «تَعبدُ اللهَ ولا تُشرِكُ بِهِ شيئاً وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتِي الزكَاةَ، وتَصومُ رَمضانَ، وتَحجُّ البيتَ».
وأرشدَهُ إلَى الصَّدَقةِ، وإلَى صلاةِ اللَّيلِ والقِيامِ، وأكَّدَ علَى الصَّلاةِ والجِهادِ فِي سبيلِ اللهِ، ثُمَّ قالَ ﷺ لمعاذٍ: «ألا أُخبركَ بِمِلاكِ ذلكَ كُلِّه»؟

قالَ مُعاذٌ: بلَى يا نبيَّ الله. فأخذَ النَّبيُّ ﷺ بلسانِهِ وقالَ: «كُفَّ عليكَ هَذَا».

فقالَ معاذٌ: يا نبي الله وإنَّا لَمؤاخَذُونَ بِما نتكلَّمُ بِه؟

فقالَ النَّبيُّ ﷺ مُداعِباً مُعاذاً: «ثَكلَتْكَ أُمُّكَ يا مُعاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ علَى وجوهِهِمْ ـ أو علَى منَاخِرِهِمْ ـ إلاَّ حَصَائدُ ألسنَتِهِمْ» [الترمذي].

مِنْ أدَبِ الكَلامِ: الاعتِدَالُ، والتَّكَلُّمُ فقطْ فِيمَا يُرْجَى ثَوابُهُ؛ يقولُ اللهُ تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

الغِيبَةُ والبُهْتَانُ

سأَلَ النَّبيُّ ﷺ أصحابَهُ ذاتَ مرَّةٍ، فقالَ: «أتدرونَ ما الغِيبَةُ»؟

فقالُوا: اللهُ ورَسولُهُ أعلَمُ.

فقالَ ﷺ: «ذِكْرُكَ أخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ».

قيلَ: أفرأيْتَ إنْ كَانَ فِي أخِي ما أقولُ؟

قَالَ: «إنْ كانَ فِيه ما تقولُ فقدِ اغتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يكنْ فِيه فَقَدْ بَهتَّهُ (أيْ قُلْتَ فِي حقِّهِ باطِلاً ليسَ فِيهِ عِيوباً هُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ، وذلكَ أشَدُّ ذنباً مِنَ الغيبةِ)» [مسلم].

وهكذَا حَرصَ ﷺ علَى أنْ يُبيِّنَ للمُسلِمِ أنَّ عاقِبةَ الغِيبَةِ والبُهْتَانِ وَخيمَةٌ، تَجلبُ التَّعاسةَ للإنسانِ الَّذي يَغتابُ أخاهُ الإنسانَ، فيَشْقَى فِي الدُّنيَا بِكراهيَّةِ النَّاسِ واجتِنابِهِمْ لَهُ، ويشقَى فِي الآخرةِ بغضبِ الله - والعِياذُ باللهِ - وسَعيرِ جهنَّمَ.

فالَّذي يَغتَابُ أخاهُ كَمَنْ يُحِبُّ أنْ يأكُلَ لَحْمَ أخيهِ ميتاً... لذلكَ فالإنسانُ السَّوِيُّ لا يَغتَابُ أحداً.

مِنْ أدَبِ الكَلامِ: عَدَمُ الغيبَةِ، قالَ تعالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

زَوَاجٌ مَهْرُهُ الصِّدْقُ

يُحكَى أنَّ بِلالاً رضي الله عنه مُؤَذِّنُ النَّبيِّ ﷺ خطَبَ لأخيِهِ امرأَةً مِنْ قُرَيشٍ، فقالَ لأهلِهَا: نحنُ مَنْ قَدْ عَرَفْتُم. كُنَّا عَبدَيْنِ فأعتَقَنَا اللهُ تَعَالَى، وكُنَّا ضَالَّيْنِ فهدَانَا اللهُ تعالَى؛ وكُنَّا فقيرَينِ فأغنانَا اللهُ تعالَى، وأنَا أَخطبُ إليكمُ (فلانةً) لأخِي، فإنْ تُنْكِحُوهَا لَهُ فالحَمْدُ للهِ تَعالَى، وإنْ تَردُّونَا فاللهُ أكبرُ (أي: إنْ تَرَفَّعْتُمْ عَلَيْنَا ورأَيتُمْ أنفسَكُم أكبَرَ وأعظَمَ مِنْ أخِي نَسباً وشَرفاً، فاللهُ جلَّ وعَلا أكبَرُ مِنْ كُلِّ كَبيرٍ، فإِيَّاكُم والكبرِياءَ).

فأقبَلَ بَعضُهمُ علَى بعضٍ فقالُوا: بِلالٌ مِمَّنْ عَرَفْتُم سابِقَتَهُ ومَشاهِدَهُ ومكانَهُ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ، فزَوِّجُوا أخَاهُ. فزَوَّجُوهُ، فلَمَّا انصرَفُوا قالَ لَهُ أخُوهُ: يغفِرُ اللهُ لكَ؛ أمَا كُنْتَ تَذكُرُ سَوابِقَنَا ومَشاهِدنَا معَ رَسولِ اللهِ ﷺ وتَترُكُ ما عدَا ذلكَ؟ فقالَ بِلالٌ لأخيهِ: مَهْ (اسكُتْ).. صدَقْتَ فأَنكَحَكَ الصِّدْقُ.

مِنْ أدبِ الكَلامِ: أنْ يَفتَخِرَ الإنسانُ بِانتِسابِهِ إلَى الإِسلامِ وبأعمالِهِ الصَّالحةِ ولا يَفتَخِرُ فِي حَديثِهِ بِنَسَبِهِ أو مَالِهِ أو يَنْسِبُ لِنَفسِهِ ما لَيسَ فِيهِ.

كُنْ صادقاً

فِي يومِ زواجِ النَّبيِّ ﷺ بالسيِّدةِ عائشةَ ـ رضيَ اللهُ عنـها ـ لَمْ يكُنْ عندَ النَّبيِّ ﷺ طعامٌ غير قدحٍ فِيـه لـبَنٌ، فأخـذَهُ الـنَّبيُّ ﷺ، وشرِبَ منْهُ، ثُمَّ ناولَهُ السيِّدةَ عائشةَ، فاسـتَحيَتِ السـيدةُ عائشةُ وخجِلَتْ أنْ تأخُذَهُ، فقالَتْ لَهَا النُّسـوةُ اللاَّتـي حضَـرنَ معهَا: لا تَردِّي يدَ رسولِ الله ﷺ، خُذِي منْهُ. فأخَذَتْـهُ السـيِّدةُ عائِشةُ علَى حَياءٍ، فَشَرِبَتْ منْهُ.

ثُمَّ قالَ لَهَا النَّبيُّ ﷺ :«ناولِي صَواحبَكِ». فقالَتِ النِّسْـوَةُ: لا نشْتَهِيهِ.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ لَهُنَّ: «لا تجمَعْنَ جُوعاً وكذباً».

فقالَتِ السيِّدةُ أسماءُ بنـتُ عُمَـيْسٍ ـ رضـيَ اللهُ عنـها ـ : يـا رسولَ الله! إنْ قالَتْ إحدَانَا لشيءٍ تَشْتَهِيهِ لا أشْتَهِيه يُعَدُّ ذلكَ كَذِباً؟

فقالَ النَّبيُّ ﷺ : «إنَّ الكَـذِبَ يُكْتَـبُ كَـذِباً حتَّـى تُكْتَـبَ الكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً» [ابن ماجه وأحمد].

مِنْ أدبِ الكَلاَمِ: الصِّدْقُ فِي القَولِ، وإذَا كـانَ الإنسـانُ صَـادقاً دائمـاً أصبحَ الصِّدقُ مُلازِماً لَهُ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حتَّـى يُكتَبَ صِدِّيقاً» [مسلم].

اختيارُ الكلامِ

يُحكَى أنَّ نَبِيَّ اللهِ عيسَى ابنَ مَرِيمٍ عليه السلام كانَ يَمشِي بِطريقٍ هُوَ وأصحَابُهُ ذاتَ يومٍ، فَرأَوْا خِنْزِيراً أمامَهُمْ، فقالَ عيسَى للخِنْزِيرِ: انْفُذْ بسَلامٍ (أي: امْضِ واذْهبْ بِسلاَمٍ فلاَ أُؤذيكَ).

فقالَ لَهُ أصحَابُه: تقولُ هذَا لخِنْزِيرٍ؟

فقالَ عيسَى عليه السلام : (إنِّي أخافُ أنْ أُعَوِّدَ لِسَانِي النُّطْقَ بالسُّوءِ) [مالك].

وهكذَا كانَ المَسيحُ عيسَى عليه السلام يُعلِّمُ أصحَابَهُ أَدَبَ الحَديثِ، ويُحذِّرُهُم مِنَ التَّكلُّمِ بالألفاظِ القَبيحَةِ الَّتِي يكرَهُهَا النَّاسُ؛ حتَّى لا يَتَعوَّدُوا عليهَا، فالإنسانُ المؤمِنُ لا يَجعَلُ لِسَانَهُ يَنْطِقُ بالشَّرِّ؛ خَوفاً مِنْ أنْ يَسْتَمْرِئَهُ، بلْ يَحرِصُ على أَنْ تكونَ أقوالُهُ وأفعالُهُ تَنطِقُ بالخَيرِ والبِرِّ دائماً.

مِنْ أدَبِ الكَلاَمِ: اختِيارُ الألفاظِ وانتِقَاءُ الكَلاَمِ الطَّيِّبِ؛ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «ليسَ المُؤمِنُ بالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ، ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيءِ» [الترمذي].

لا تَكْذِبْ

ذاتَ يومٍ، كانَ النَّبيُّ ﷺ يزورُ أحدَ أصحَابِهِ، وكـانَ لِهذا الصَّحابِيِّ ولَدٌ يُسَمَّى عَبدُ اللهِ، فنادَتْهُ أمُّهُ وقالَتْ لَهُ: تَعالَ أُعطِكَ.

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «أمَا إنَّكِ لَـو لَـمْ تُعْطِـهِ شيئاً كُتِبَتْ عليكِ كَذِبَةٌ» [أبو داود وأحمد].

ومنْ هذَا المَوقفُ، نَـتَعلَّمُ مِـنَ الـنَّبيِّ ﷺ ألاَّ نَعِـدَ أحَداً بِشَيءٍ ثُمَّ لا نُعْطِيـهِ إيَّـاهُ، فَـإِنَّ ذلـكَ مِـنَ الكَـذِبِ والخدَاعِ الَّذِي يُضافُ إلَى سَيِّئَاتِ الإِنسـانِ يَـومَ القِيَامـةِ. فكلُّ كلِمةٍ يَنْطِقُ بِهَا لِسَانُ المَرءِ، عليهِ أنْ يَزِنَهَـا قبْـلَ أنْ يَتَفوَّهَ بِهَا.

المُسلِمُ يَعِي ويَعرِفُ ما يَقولُ؛ قالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ الرَّجُـلَ ليَـتكلَّمُ بالكَلِمةِ لاَ يَرَى بِهَا بأساً يَهوِي (يَسقطُ) بِهَا سَبعينَ خَريفاً (سَنَةً) فِي النَّارِ» [الترمذِي].

الصِّدْقُ نَجَاةٌ أو مَنْجَاةٌ

عـادَ الـنَّبيُّ ﷺ مِـنْ غَـزْوَةِ تَبُـوكَ، فجـاءَ إليـه المُنـافقون ـ الَّذينَ تَخلَّفُوا عَنِ الغَزْوِ ـ يَعتَذرُونَ، وكلٌّ منْهُمْ كانَ كاذباً في كَلامِهِ، لكنَّ ثلاثةً مِنَ الصَّحابةِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا فضَّلُوا أنْ يَقُولُـوا الصِّدْقَ للنَّبيِّ ﷺ، وكانَ مِنْهُمْ كَعْبُ بنُ مَالكٍ. فجَاءَ إِلَى النَّبيِّ ﷺ وقالَ: واللهِ لقدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَـدَّثْتُكَ اليـومَ حَـدِيثَ كَـذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ. وأخبرَ الـنَّبيَّ ﷺ بشأنِه، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: «أمَّا هَـذَا فَقَـدْ صَـدَقَ، فقُـمْ حتَّـى يقضِيَ اللهُ فيكَ». وبعدَ فترةٍ أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ علَـى الـنَّبيِّ ﷺ القُرآنَ، وأَعْلَمَهُ أنَّهُ تابَ علَى مَنْ صَـدَقَ فِـي الحَـديثِ معَـهُ، فقـالَ كَعْـبٌ للـنَّبيِّ ﷺ: يـا رسـولَ اللهِ! إنَّ اللهَ إنَّمَـا نجَّـانِي بالصِّدْقِ، وإنَّ مِنْ تَـوبَتِي أنْ لا أُحـدِّثُ إلاَّ صِـدقاً مـا بقيـتُ. وحافظَ كَعْبٌ علَى وَعْدِه للهِ ورَسولِهِ بِعَـدَمِ الكَـذِبِ، فكَـانَ لا يَتَحدَّثُ إلاَّ بالصِّدْقِ منذُ ذلكَ الحينِ. [البخاري].

الصِّدْقُ مَنْجَاةٌ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ؛ قالَ ﷺ: «إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَـى البِـرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجنَّةِ» [البخاري]. وقيـلَ: لِكُـلِّ شَـيءٍ حِليـةٌ، وحِليـةُ النُّطْقِ الصِّدْقُ.

آدابُ الكَلامِ

أدَبُ الكَلاَمِ والحَديثِ مِنَ الآدَابِ الإسلامِيَّةِ الفاضِلَةِ الَّتي يَنْبَغِي مُراعَاتُهَا؛ فيَجِبُ أنْ يكونَ المُسلِمُ عَارِفاً بأدَبِ الكَلاَمِ، وأُسلُوبِ الحَديثِ المُهَذَّبِ.

ولنَا فِي رَسولِ اللهِ ﷺ القُدْوَةُ والأُسْوَةُ الحَسَنَةُ؛ فقدْ كانَ الرَّسولُ ﷺ أفْصَحَ النَّاسِ وأعذَبَهُمْ كَلاَماً، وأحلاَهُمْ مَنْطقاً، وكانَ كَلاَمُهُ واضِحاً بَيِّناً يَحفظُهُ مَنْ جَلَسَ إلَيهِ، فإذا تكلَّمَ بكَلِمةٍ أعادَهَا ثلاثاً حتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وكانَ طويلَ السُّكُوتِ لا يَتكلَّمُ فِي غيرِ حاجةٍ، ولا يَتكلَّمُ فيما لا يَعْنِيهِ، ولا يَتكلَّمُ إلاَّ فيمَا يَرجُو ثوابَهُ، ولَمْ يكُنْ فاحِشاً ولا مُتَفَحِّشاً.

وقدْ حَثَّنَا الرَّسولُ ﷺ علَى أطَايبِ الكَلاَمِ وطَلاَقَةِ الوَجْهِ عِندَ الحَديثِ، وحَبَّبَ إلينَا الكَلِمةَ الطيِّبَةَ، قالَ ﷺ: «الكَلِمةُ الطيِّبَةُ صدقةٌ» [متفقٌ عليه].

وقالَ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فمَنْ لَمْ يَجِدْ فبِكَلِمةٍ طيِّبَةٍ» [البخاري].

وفِي هذَا الكِتَابِ بعضُ آدابِ الكَلاَمِ الَّتِي يَجِبُ أنْ نَحرِصَ علَيهَا، ونَلتزِمَ بِهَا فِي حَدِيثِنَا وسُلوكِنَا.

* * * * *

سلسلة قصص في الآداب

١ آداب الطعام والشراب
٢ آداب اللعب و المزاح
٣ آداب المساجد
٤ آداب العمل
٥ آداب النصيحة
٦ آداب التحية
٧ آداب الزيارة
٨ آداب العلم
٩ آداب الذكر
١٠ آداب الدعاء
١١ الأدب مع الله عز وجل
١٢ الأدب مع الرسول ﷺ
١٣ آداب الطهارة
١٤ آداب الكلام
١٥ آداب اللباس
١٦ آداب السفر و الطريق
١٧ آداب النوم
١٨ آداب الأعياد و الأفراح

٨١٠٠٥٥